

## أصول فكر الخوارج

### أهداف الدرس

1. أن أتعرف أصول فكر الخوارج؛
2. أن أثبت فساد آراء الخوارج وفكرهم؛
3. أن ألتزم باختيارات الأمة وثوابتها العقدية والمذهبية.

### تمهيد

بعد استشهاد الخليفة الثالث سيدنا عثمان رضي الله عنه وقع خلاف بين المسلمين ، فمنهم من طالب بالقصاص من قتلة عثمان قبل عقد البيعة لعلي رضي الله عنه ، ومنهم من طالب بإتمام البيعة لعلي رضي الله عنه ، واشتد الخلاف في أمر التحكيم في موقعة صفين ، فخرج بعض أصحاب علي رضي الله عنه عليه ، فسموا بعدة أسماء أشهرها الخوارج .

فمن هم الخوارج؟ وما هي أصول فكرهم؟

### نص الانطلاق

قال ابن حزم رحمه الله: «وأما الخوارج فعمدة مذهبهم الكلام في الإيمان والكفر ما هما والتسمية بهما ، والوعد ، والإمامة ، واختلفوا فيما عدا ذلك . . . ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم ، وتكفير أصحاب الكبراء ، والقول بالخروج على أئمة الجور ، وأن أصحاب الكبراء مخلدون في النار» [الفصل في الملل والأهواء والنحل ، 90/2] .

قال الإمام التفتازاني: «وأما الخوارج فذهب جمهورهم إلى أن كل معصية كفر ، ومنهم من فرق بين الصغيرة والكبيرة وتمسكوا بوجوه: الأول النصوص الناطقة بكفر العصاة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ كُفْرُ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 46] وقوله تعالى في تارك الحج: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 97] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ

كَفَرَبَعْدًا إِلَيْكَ بِأَوَّلِيَدٍ لَّهُمْ الْبَلْسِفُوتُ ﴿[النور: 53]، حصر الفسق على الكافر فيكون كل فاسق كافراً...﴾ [شرح المقاصد، 3/439-440].

## الفهم

الشرح:

- الخوارج: فرقة كلامية تكفر مرتكب المعصية.
- التحكيم: مصدر حكم مضاعف العين، والمراد هنا اتخاذ الحكم من الناس.

استخلاص المضامين:

- أحدد القضيتين الأساسيتين في النص.

## التحليل

اشتمل النصان على خمس مسائل:

### المسألة الأولى: رأي الخوارج في حقيقة الإيمان

عمدة مذهب الخوارج - كما قال ابن حزم رحمه الله - الكلام في الإيمان والكفر؛ أي أن لهم رأياً في حقيقة الإيمان يعد من أصول فكرهم؛ حيث ذهبوا إلى أن الإيمان هو: الطاعة؛ أي التصديق بالقلب، والنطق باللسان، والعمل بالجوارح؛ بمعنى أن الإقرار باللسان والعمل بالجوارح شطران من ماهية الإيمان، فالطاعة اسم لفعل القلب وهو التصديق، وفعل اللسان وهو الإقرار، وفعل الجوارح وهو العمل، وحصرُوا الناس في صنفين: مؤمن وكافر، وجعلوا الفسق مقصوراً على الكافر، استناداً إلى ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْبَالِسِفُونَ﴾ [النور: 53]، حيث «حصر الفسق على الكافر فيكون كل فاسق كافراً»؛ وبذلك خالفوا الأشاعرة وكثيراً من المعتزلة في حقيقة الإيمان، وسيأتي مزيد تفصيل لهذه المسألة في درس: زيادة الإيمان ونقصانه.

### المسألة الثانية: أصلهم في الإمامة

الخوارج أول من أحدث بدعة في الإمامة العظمى؛ حيث جوزوا «أن تكون الإمامة في غير قریش، وكل من نصبوه برأيهم، وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان إماماً، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه وإن غير السيرة، وجوزوا أن لا يكون في العالم إمام أصلاً...» [الملل والنحل، ص 116].

وشذت فرقة النجدات من الخوارج فلم تقل بوجوب نصب الإمام، قال ابن حزم «حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا لا يلزم الناس فرض الإمامة، وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم...» وقول هذه الفرقة ساقط يكفي من الرد عليه وإبطاله إجماع كل من ذكرنا على بطلانه، والقرآن والسنة قد وردا بإيجاب الإمام، من ذلك قول الله تعالى: ﴿أَكْبِغُوا اللَّهَ وَأَكْبِغُوا الرَّسُولَ وَآؤُلِيَ الْأَمْْرِ مِنْكُمْ﴾ مع أحاديث كثيرة صحاح في طاعة الأئمة وإيجاب الإمامة». [الفصل 3/66].

### المسألة الثالثة: أصلهم في الحكم والتحكيم

للخوارج فهم خاطئ في الحكم والتحكيم كان سبب فتنهم وخروجهم عن جماعة المسلمين وشقهم لوحدة الأمة، ففي واقعة صفين وقع اتفاق بين علي ومعاوية رضي الله عنهما بعد أخذ ورد على التحكيم للحفاظ على دماء المسلمين، وقبله علي رضي الله عنه بعد رفضه أول الأمر فكفره بعض من معه بدعوى أنه لم يرض بتحكيم كتاب الله لما رفضه، ورأى أنه حيلة اتخذها خصومه لما دارت الحرب عليهم، فاضطر للقبول ونزلا على تحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما فخرج عنه الخوارج وقالوا: رضيت بتحكيم الرجال في دين الله ولم تقاتل البغاة حتى يفيئوا إلى أمر الله فلم تعمل بقوله تعالى: ﴿إِنْ بَغَتْ إِحْدَى الْأُمَمِ عَلَى الْأُخْرَىٰ فَمَا لَهُ إِلَّا أَنْ يُقَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: 9]، قال الشهرستاني: «والبدعة الثانية: أنهم قالوا: أخطأ علي في التحكيم؛ إذ حكم الرجال ولا حكم إلا لله، وقد كذبوا على علي رضي الله عنه من وجهين: أحدهما: في التحكيم؛ أنه حكم الرجال، وليس ذلك صدقا؛ لأنهم هم الذين حملوه على التحكيم. الثاني: أن تحكيم الرجال جائز؛ فإن القوم هم الحاكمون في هذه المسألة، وهم رجال، ولهذا قال علي رضي الله عنه: «كلمة حق أريد بها باطل». [الملل والنحل، 1/116].

### المسألة الرابعة: أصلهم في مرتكب المعصية

يعد تكفير أحد من أهل القبلة أمرا خطيرا، فليس لأحد أن يكفر أحدا إلا بأمر موجب للتكفير، فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يحرمان تفسيق المسلم وتكفيره إلا ببيان لا إشكال فيه، وهذا مذهب أهل السنة من الأشاعرة وغيرهم، وذهب الخوارج إلى أن مرتكب المعصية من المسلمين كافر مخلد في النار، قال ابن ناجي رحمه الله: «وقالت الخوارج إذا كان صاحب صغيرة أو كبيرة فهو في النار مخلد ولا إيمان له؛ لأنهم يرون أن الذنوب كلها كبائر، وبنوا هذه المقالة على أن جعلوا آيات الوعد كلها مختصة بالمؤمن المحسن الذي لم يعص قط والمؤمن التائب، وجعلوا

آيات الوعيد عامة في العصاة كفارا أو مؤمنين». [شرح ابن ناجي على متن الرسالة 48/1] وقد أدت بهم شبهتهم هذه إلى تكفير بعض من شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة، فكفروا عثمان وعلياً وعائشة وطلحة والزبير... رضي الله عنهم، وسيأتي مزيد تفصيل لهذا الأمر في درس: موقف الأشاعرة من مسألة التكفير.

## المسألة الخامسة: أصلهم في الخروج على الإمام

يرى الخوارج أن من الواجب على كل مسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن مقتضى ذلك الخروج على الإمام ولو تمت له البيعة الشرعية إذا اقترف معصية بناء على شبهتهم في تكفير صاحب المعصية، ولا تجب طاعة الكافر، وكل من لم يخرج عليه يكون راضياً بالكفر فيكون كافراً كذلك، قال الشهرستاني: «ويكفرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة: حقا واجبا» [الملل والنحل، 1/115].

وأما أهل السنة فحرموا الخروج على الإمام ومنازعته؛ «لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف؛ ولأن ذلك يحمل على هراق الدماء وشن الغارات والفساد في الأرض، وذلك أعظم من الصبر على جورهِ وفسقه، والأصول تشهد والعقل والدين أن أعظم المكروهين أولاهما بالترك». [التمهيد لابن عبد البر، 23/279].

## التقويم

1. أبين أصول فكر الخوارج ومنشأها.
2. أبرز فساد فكر الخوارج وآثاره السلبية في ماضي الأمة وحاضرها.

## الاستثمار

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج في هذه الأمة قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، فيقرءون القرآن لا يجاوز حلوهم - أو حناجرهم - يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية» [صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم].

أراجع شروح الحديث وأستخلص منها علاقتها بموضوع الدرس.

## الإعداد القبلي

أبحث عن موضوعات المذهب الأشعري ومنهج الأشاعرة في تناولها.